آراء قطرب وتوجيهاته في كتابه(معاني القرآن)

إعداد

أ.د/ سيف الدين الفقراء **فندية الطراونة**

أستاذ النحو والصرف واللغويات وتعليم العربية مدرس بالمدرسة النموذجية، جامعة مؤتة

قسم اللغة العربيّة، كلية الآداب، جامعة الشارقة

الملخّص:

يدرس البحث بعض آراء قطرب وتوجيهاته في(معاني القرآن) نشر سنة2021م، بهدف إبراز قيمتها وبيان أصالتها وأثرها في الدرس اللغويّ، لا سيما أنّ قطرباً من النحاة المتقدمين الذين كانت لهم آراء خاصة تناثرت في الكتب التي نقلت عنه، ثمّ جاء اكتشاف مخطوطات كتابه معاني القرآن ونشره ليبرز فكره النحو بشكل متكامل، وقد اشتهر عنه مقولته في الحركات الإعرابية، وأنّها لم تأتِ إلا لغرض اتصال الكلام ببعضه، أي للتوصل بالنطق بالساكن لا غير، وفي الحقيقة أنّ آراء قطرب لا تتوافق مع هذا الرأي من الجهة التطبيقية، وهو ما سعى هذا البحث لإثباته وتحقيقه.

ويسير هذا البحث وفقاً للمنهج الوصفي للوصول إلى نتائجه العلمية، وقد انقسم إلى مبحثين هما: آراء قطرب التي انفرد بها، وذلك في الجوانب الصرفيّة والنحويّة، والمبحث الثاني خُصّص للحديث عن موقف العلماء من آراء قطرب موافقة ورفضاً.

لقد بيّن البحث آراء قطرب وأبرز فكره نحويّ، وسلّط الضوء على آرائه الخاصة وتعليلاته وتوجيهاته في المسائل اللغويّة، وما كان له فيه فضل السبق، وما خالفه فيه النحاة .

الكلمات المفتاحية: قطرب، معاني القرآن، التوجيهات النحويّة، التفكير النّحويّ.

Abstract:
A study in the opinions of Qotroub and his directions in his book (the meanings of the Holy Quran)

This research addressed some of Qutrub's opinions, directions and explanations in his book (the meanings of the Holy Quran), which was published few years ago in order to show their value and demonstrate their authenticity and impact on the linguistic lesson, knowing that Qutrub was one of the distinctive grammarians who have their own perspectives cited in his books. The contents of his book (the meanings of the Holy Quran) were explored and published to show the idea of syntax completely. Qutrub was famous for his perspective concerning the parsing markers, in that they are only used to connect speech; i.e., to communicate with silent utterances. However, Qutrub's opinions don't correspond with this idea in practice, a case sought to be proved in this research. The researcher used the analytical descriptive approach to conclude scientific results. The research consisted of two parts: The first part addressed the opinions of Qutrub cited in advance to other grammarians concerning the syntactic and morphological issues, while the second part was dedicated to address the attitudes of scholars towards Qutrub's perspective, either by agreement or disagreement.

The research showed Qutrub's syntactic thought and highlighted his opinions, directions and explanations in linguistic issues, in addition to his achievements and the disagreements by other grammarians.

Key words: Qutrub, the meanings of the Holy Quraan, syntactic directions, syntactic thought.

المقدمة:

عرف الدرس النحوي طريقه إلى الحضور في المصنفات والمؤلفات بعد منتصف القرن الثاني الهجري؛ وذلك بعد أن رأى بعض العلماء أنّ الحاجة أصبحت ملحّة لوضع بعض المصنفات التي تحفظ للغة أساسها، وتجمع قواعدها، وترصد استعمالاتها المسموعة عن العرب، وتحميها من الضياع، وبالتالي تحمي القرآن الكريم من اللحن والخطأ الذي أخذ يتسرب إلى ألسنة المستعربين الداخلين في دين الإسلام، فصار الأعاجم خطراً داهماً على اللغة وصفائها، من هنا برزت الحاجة لمثل هذه العلوم والمصنفات، فالعناية بالنحو بدأت منذ البواكير الأولى للإسلام، إلا أنّ هذا الاهتمام لم يجد جهوداً تصنيفيّة إلا في القرن الثاني الهجريّ.

ولمّا كان الهدف من جمع قواعد النحو، ورصد المسموع من كلام العرب، واستقراء تلك الاستعمالات اللغوية ووضع القوانين الخاصة بها منوطاً بالقرآن الكريم وحمايته من اللحن والخطأ، فقد أخذت مصنفات معاني القرآن وإعرابه ومشكله على عاتقها رصد الأسس الأولى لقواعد النحو العربي، إلى جانب وجود مصنفات مختصّة –مثل كتاب سيبويه – الأمر الذي جعل كتب معاني القرآن هي البيئة الخصبة التي يذكر فيها العلماء آراءهم، ويثبتون قواعدهم، مع ربطها بآيات القرآن الكريم محاولة منهم لتوثيق الصلة بين القاعدة والاستعمال.

ويمكن القول إنّ هذه المرحلة من عمر النّحو العربيّ شهدت فكرة جديدة، وهي فكرة مرتبطة بنحوي فذّ وهو قطرب، صاحب كتاب: معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، وتمثّلت بأنّ قطرباً رفض أن تكون العلامات الإعرابية دالّة على المعاني من الفاعلية والمفعولية، وأنّها حركات يؤتى بها للوصل بين الكلام، والتخلّص من التقاء الساكنين، هذا الرأي قابله مخالفة من قبل النحويين قديماً وحديثاً، ورفضوا رأي قطرب جملة وتفصيلاً.

ولكن بقي التساؤل حاضراً: كيف يمكن لعالم بمكانة قطرب يعيش في ذلك الزمن الذي يبذل فيه الجميع جهدهم لحفظ قواعد اللغة، وحماية القرآن، كيف يمكن له أن يأتي

بهذا الرأي؟ من هنا يطالع الباحثة بعض الشكوك حول طبيعة هذا الرأي، وهل كان قطرب متبنياً هذا الرأي في كلّ مواقفه اللغويّة؟

وعند النظر في كتابه: معاني القرآن، نجد أنّه يتحدث عن العلامات الإعرابية كما يتحدث غيره من النحاة، ويربطها بالمعاني والدلالات، ويشير إلى دور الحركات في المعنى، وهو ما يخالف رأيه الأول، مما يعني أنّ قطرباً لم يلتزم بفكرته التي ذاعت في جميع توجيهاته النحويّة. وبرز الاهتمام بالحركات الإعرابية، ودلالتها على المعاني ضمن حديثه عن القراءات وتوجيهها توجيهاً نحويّاً وصرفيّاً.

من هنا فقد جاء هذا البحث لإبراز آراء قطرب، والرواية التي رُويت عنه من قبل النحاة قبولاً ورفضاً. وتبرز أهميّة هذه الدراسة من كونها تتناول آراء قطرب من كتاب من مصنفاته بدلاً من الآراء التي سعى العلماء المحدثون إلى رصدها من كتب نقلت عنه، زيادة على كونها كاشفة للفكر النحويّ لقطرب ومنهجه في التعامل مع المسائل اللغويّة.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن شخصية قطرب النحوية، وبيان ما تميّز به من ميزات علميّة تجعله في الصف الأول من علماء النحو، كما يهدف إلى الكشف عن قيمة كتابه: معاني القرآن، في مقابل المصنفات اللغوية الأخرى، وبيان أثر رأيه القائل بأن الحركات ليست دوالَّ على المعاني، والحديث عن توجيهه للقراءات القرآنية توجيهاً لغوياً، وبيان طريقته في تناول المسائل النحوية من خلال هذه القراءات القرآنية.

ويسير هذا البحث وفقاً للمنهج الوصفيّ، ابتداءً من رصد الظاهرة العلمية، واستقرائها في مظانها، ثم تحليل المسائل اللغويّة، للوصول إلى نتائج تحقّق اهداف البحث.

ثمة مجموعة من الدراسات السابقة التي تحدثت عن جهود قطرب اللغوية في كتابه: معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، غير أنّها لم تتناول فكرة توجيه تلك القراءات توجيهاً لغويّاً، ومن هذه الدراسات: دراسة الهديان(2022)، القراءات المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم عند قطرب ت: 206هـ، في كتابه معاني القرآن وتفسيره من خلال سورتي الفاتحة والبقرة جمعاً ودراسة، مجلة العلوم الشرعية، عدد(67)، ص(13 – 84).

ودراسة السلمي(2021)، التوجيه اللغويّ لما وصف بالمرغوب عنه والشاذ في معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه لقطرب، مجلة الجامعة العراقية، العدد (53)، الجزء الأول: ص321 – 337. ودراسة الخوار(2020)، أوجه الوقف عند قطرب في كتابه معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مجلد: 28، عدد(4)، ص(338 – 359).

وكذلك دراسة القرني(2019)، اللهجات في معاني القرآن لقطرب: دراسة في المستوى النحوي، مجلة العلوم العربية والإنسانية، مج: 13، العدد (2)، ص(447 – 512). ودراسة إبراهيم والعليم،(2018)، آراء قطرب المتداولة بين النحاة واللغويين، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، مج 19، العدد(3)، ص(16 – 28). وكذلك ودراسة القرالة(2012)، رأي قطرب في الحركات ودلالاتها الإعرابية في آراء العلماء، مجلة كلية الآداب، جامعة منتوري، عدد: (13)، (337 – 373).

وتميز بحثيّ عن هذه الدراسات في السعي لبيان آراء قطرب الصرفية والنحويّة وما انفرد به من آراء وما خالفها فيه بعضهم، والتركيز على علله وتوجيهاته اللغوية التي تعكس فكره النحويّ.

وقد جاء البحث في مبحثين تناول الأول منهما الحديث عن الآراء اللغوية التي سبق إليها قطرب في الصرف والنحو، وتناول المبحث الثاني موقف العلماء من الرواية عن قطرب قبولاً ورفضاً.

المبحث الأول: الآراء اللغويّة التي سبق إليها قطرب:

لمّا كان قطرب أحد النحاة السابقين في النحو العربيّ فمن الطبيعي أن يتداول النحاة آراءه، وأن يدوّنوا ملحوظاتهم إيجاباً وسلباً عليها، إذ كثيراً ما تشير هذه المصنفات إليها بوصفها باكورةً في الدرس النحويّ العربي، خصوصاً ما يدخل منها في دائرة الآراء اللغويّة المرتبطة ببعض ظواهر اللغة المتنوعة، وفيما يلي عرض لأبرز تلك الآراء.

أ- مسائل صرفيّة:

إنّ كثيراً من المسائل التي تطرّق إليها قطرب في "معاني" القرآن تمثلت بالمسائل الصرفيّة ومعاني المفردات والألفاظ، وهي التي نقلها عنه كثير من النحاة واللغويّين، وكانت كثيراً ما تنسب إليه، وفي هذا الجزء من الدراسة سنتناول الحديث عن أبرز تلك المسائل الصرفيّة التي ذكرها قطرب، مع التأكيد على أنّ هناك مسائل أخرى لا يسمح المقام بها.

من هذه المسائل ما ذكره قطرب عن قلب الهمزة هاءً في الأداء اللغويّ العام، في قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، (الفاتحة، آية5)، فيقول في ذلك: "فبعض العرب يقول (أَيّاك) بفتح الألف، وذلك شاذّ، وبعضهم (هيّاك) بالهاء، ولا يقرأ لمخالفة الكتاب"(قطرب، 2021، ص19). ويذكر قطرب في كلامه السابق أداءين لغويّين لقوله: "هياك، ويبيّن أنّهما مسموعان عن العرب، غير أنّه يؤكد فكرة عدم إمكانية القراءة بالوجه القائم على قلب الهمزة هاءً؛ لأنّه شاذّ يخالف الرسم القرآني.

ويبيّن اللغويّون أنّ قلب الهمزة هاءً مسموع في كلام العرب، ومن ذلك ما قرئ شذوذاً في هذه الحالة التي أشار إليها قطرب، وهي لهجة منقولة عن العرب(الثماميني، 1999، ص334)، وينسب هذا الأداء اللغويّ إلى أناس من الأعراب، ولم ينسب لقارئ بعينه(المعري، 1992، ص92). وقلب الهمزة هاء له نظائر في كلام العرب، يقال: أراق، وهراق، وهرحتُ الدابة، أي: أرحتها، وغيرها من الأفعال التي تنقلب فيها الهمزة هاءً(الصقلي، 1999، ص341).

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ أبا العلاء المعرّيّ ذكر أنّه من المحتمل وفقاً لرأي قطرب أن تكون الكسرة هي الأصل، والفتحة هي الفرع، وذلك استثقالاً للفتحة مع الألف، حيث

يقول مؤيداً رأي قطرب: " وزعم قطرب أنّ من العرب من يقول أَيّاك، فينفخ فإذا صحت هذه اللغة وجب أن يقال أن الأصل الكسر، وأنّهم فتحوا استثقالاً للكسرة مع الياء كما فعلوا ذلك في لَيانٍ مصدر لويته بالدين لَيانًا إذا مطلته"(المعري، 1992، ص92).

وما أشار إليه قطرب من قبل ذكره النحاة من بعده، غير أنّ ما يستوقفنا هاهنا أنّنا لم نجد نحوّياً قد أحال الكلام إلى قطرب، أو أشار إليه من قريب أو بعيد، لا سيما أنّ هذه المسألة جاءت في الكتاب لسيبويه واتخذه العلماء مصدراً فيها(سيبويه، 1988، ج3، ص2014).

ومن المسائل الصرفيّة التي يبيّن قطرب رأيه فيها ما تحدّث فيه عن أصل اشتقاق "صَيِّب"، فجعلها على زنة "فعيل"، وهو ما ذهب إليه الكوفيّون، يقول في ذلك: " فهو فَعيل، من صاب يصوب، مثل: سيّد وميّت وجيّد، وإنّما يريد انصياب المطر"(قطرب، 2021، ج2، ص203).

وهذه الصيغة التي أشار إليها قطرب في حديثه عن كلمة "صَيِّب" السابقة ما ذهب إليه الكوفيّون من اشتقاق مثل هذه الألفاظ على زنة "فعيل"، في حين ذهب البصريّون على أنّها على زنة "فَيْعل" وعلى قول البصريّين سار أكثر النحاة(الأنباري، 2003، ج2، ص656).

وما ذهب إليه قطرب في وزن كلمة "صَـيِّب" قال به الكوفيّون فحسـب، في حين أن أكثر النحاة على أنها على وزن فَيْعِل" ومن بينهم المبرد(المبرد، 1994، ج1، ص90)، وابن السـراج(ابن السـراج،1996، ج3، ص310)، والسـيرافي(السـيرافي، 2003، ج5، ص272) ، وغيرهم. وما يهمنا في الكلام السـابق لقطرب أنّه قد سـبق اللغويّين في نظرته إلى هذه المسـألة، صـحيح أنّ كثيراً منهم قد خالفوه في ما ذهب إليه من وزن "صَيِّب" هو "فَعيل"، إلا أنّ مجرد حديثه عن هذه الفكرة يعدّ سابقة بالنسبة له، لا سيما أنّ قطرباً تتلمذ على شيخ البصريين.

وفي موضـع آخر يتحدّث قطرب عن حركة الواو في كلمة "وَقود" فيبيّن أنّها بالفتح أحبّ إليه، يقول: "وقدتِ النار، تقدُ، وَقودا وَوَقدا وقِدةً ووقدانا... والفتح أحبّ إلينا"(قطرب، 2021، ج2، ص213). ينصّ قطرب في كلامه السابق على رأيه وموقفه

من حركة الواو في كلمة "وَقود"، وهي حركة بنية لا حركة نحويّة، ويبيّن أنّ الفتح أحبّ إليه من الضم في هذه الحالة، اعتماداً على ما سمعه من كلام العرب. وما أورده قطرب في كلامه السابق عن تصريف كلمة "وقود" أمر أشار إليه العلماء من بعده، وبيّنوا ما جاء في هذه الكلمة من حركة الواو فيها(الصغاني، 1982، ص37).

وما أشار إليه قطرب في حديثه السابق إنّما هو دليل على أسبقيته في البتّ بعض المسائل اللغويّة، وحرصه على الوصول إلى ما ورد عن العرب في كافة الجوانب والمعاني، والضبط السليم الصحيح لكلّ لفظ من الألفاظ التي يناقشها أو يتحدّث عنها وبيان أوجهها وتصريفها.

ومن القضايا اللغويّة التي أشار إليها قطرب كذلك حديثه عن تصريف الفعل "استحيا"، حيث أشار إلى كونه بياء واحدة أو اثنتين، يقول: " قالوا في اللغة: استحييت واستحيت، لغتان؛ والمصدر استحييت استحياء، واستحيت استحاء في القياس؛ وإنّما حذفوا إحدى اليائين لاعتلال الياءات وثقلها؛ استحيت استحاءة واستحاء. وأمّا استحاء، فإنّها لما كان الفعل منها (استحى) فلم تظهر عين الفعل كما تظهر في استجار واستقال، فخالفتها؛ لذلك دخلت الهاء– يعني استحاءة– لما حذفوا من الياء، كقولهم: استجاترة واستقالة"(قطرب، 2021، ج 2، ص 213). وما أشار إليه قطرب في حديثه عن هذا الفعل ذكره العلماء من بعده، وبيّنوا ما طرأ عليه من التصاريف وخصوصاً ما كان من صياغة المصدر الصريح من هذا الفعل، وأنّه جاء على نمط الأفعال معتلة العين، كاستقام، واستقال، ونحوها (الرضي،1975، ج3، ص119). في حين أنّ سيبويه اكتفى بجملة مقتضبة في بناء هذه الفعل، وأنّه جاء (استحيت) على حاي مثل باع، وفاعله حاءٍ، وإن لم يستعمل(سيبويه،1988، ج4، ص399).

ويتطرّق قطرب إلى اشتقاق لفظ "آدم" وهل هو من اللون أو من أديم الأرض، يقول في ذلك: "ابن عباس: فخلق الله آدم من أديم الأرض. فكأنّه مشتق من ذلك؛ وقد يجوز أن يكون (أَفْعَل) من اللون، كأحمر وأصفر"(قطرب،2021، ج2، ص 221). وما رواه قطرب عن ابن عباس نجده نصاً حرفياً عند سواه من النحاة، أمثال السخاوي (السخاوي، 1995،ج1، ص18)، ولكن دون إشارة إلى رأي قطرب، أو تلميح إليه، بل

نفى أن يكون الاحتمال أنّ لفظ "آدم" قد اشتق من اللون، بل هو من أديم الأرض، ومنه أُخِذت الأدمة(السخاوي، 1995،ج1، ص18).

وذهب بعض النحاة إلى أنّ اسم "آدم" من الأسماء الأعجمية التي لا أصل لها في العربيّة، في ظل مبالغة بعض العلماء في اشتقاق أسماء الأنبياء مثل: إدريس من الدرس، ويعقوب من العقبة، وهكذا، وإنّما الصواب أنّها أسماء أعجمية لا أصل اشتقاقي لها في العربيّة(أبو حيان، 1988، ج2، ص877).

ومن القضايا الصرفيّة التي تناولها قطرب، ما جاء في حديثه عن مصدر الفعل "تمسكن"، فقال في المسكنة: "قالوا في الفعل: تمسكن وما به مسكنة؛ فأدخلوا الميم زائدة؛ وقالوا: ما فيه أسكن من فلان، وأسكن الله خوفه؛ من المسكنة"(قطرب،2021، ج 2، ص329). ويبيّن قطرب أنّ الميم زائدة في الفعل تمسكن، وإنّما هو من أسكن، وبقيت على زيادتها في صيغة المصدر وهو المسكنة، والأولى أنّها من السكون دون الميم الزائدة.

ويبيّن المعرّيّ أنّ الميم زائدة في قولنا: تمسكن، ومنه المسكين؛ لأنّ ذلك أقرب إلى قياس اللغة"(المعري، 1992،ج1، ص273). ومثل ذلك الاستراباذيّ مثبتاً أنّ الميم زائدة في الكلام: وبقولهم: تمسكن الرجل، إذا صار مسكيناً، والمسكين من السكون، وميمه زائدة، وهذا قريب، إلا أن سيبويه حمل الممرجل على الأكثر في الكلام، لقلة مُمَفْعل (وكثرة مُفَعْلَل)"(الرضي،1975، ج4، ص286).

هذا يدلّ على أنّ من اللغويّين من وافق ما ذهب إليه قطرب من قبل في اشتقاق كلمة مسكين، واتفقوا معه بأنّ الميم زائدة، إلا أنّ العادة جرت عندهم دون الإشارة إلى قطرب ونسبة الآراء إليه.

ويبيّن قطرب تصاريف الأفعال، وما تنطوي عليه من ألفاظ، ويفسّر مصدرها الصريح، والفرق بين المصدر والاسم فيها، وهو ما نجده في كلامه عن الفعل "طَهُر"، يقول: " فالفعل: طهرت المرأة، طُهْرا وطهارة، وطهُرت أيضا مقولة، طَهُرت تَطْهُر طُهْرا. وقالوا: ما يطهَر على فلان أحد، ولا يطهُر؛ أي ما يسلم عليه أحد. وقالوا: طِهِرت المرأة بكسر الطاء والهاء؛ فكأنّ هذا على لغة من قال: طَهِرت، ثم كسر للهاء؛ لأنّها أحد الستة

الأحرف التي سمينا في صدر الكتاب، حروف الحلق. وقالوا: هو الطَّهُور للاسم، والطُّهور المصدر، وكما قالوا: الوَضُوء الوَضُوء"(قطرب،2021، ج 2، ص315).

ويبيّن قطرب في كلامه السابق ما يطرأ على هذا الفعل من تصريفات، وهي أنماط لغويّة يكثر اهتمام أصحاب المعاجم بها، إذ هي في طليعة الجوانب التي يتناولونها ويتحدّثون عنها في معاجمهم، انطلاقاً من القيمة اللغويّة المسموعة عن العرب في هذا الفعل أو ذاك، كما يؤكد هؤلاء العلماء على الاحتمالات التصريفية الحاضرة في مثل هذه الأفعال، كما هي الحال بالنسبة لما جرى مع قطرب، وممّن أشار لهذه التصريفات وما طرأ على الفعل "طهر" ابن سيده المرسي(ابن سيده، 2002، ج4، ص245)، ونقلها ابن منظور في (لسان العرب). وهذا يعني أنّ لقطرب دوراً في نقل ما في الألفاظ من تنوعات الاستعمالات اللغويّة.

ويركز قطرب على لهجات العرب، وما تقوله القبائل العربيّة ضمن كلامها ما يتعلق بالجانب النطقي المنوط بالحركات، إذ يورد بعض الألفاظ مثلثة الحركة مثل: نِصْف"، فهي ترد بكسر النون كثيراً، وبضمها وفتحها، يقول مثبتاً ذلك: " وأهل الحجاز يقولون: نِصف بالكسر؛ وتميم وأسد يقولون: نُصفه؛ وبعض العرب يقول: نَصف ونَصيف؛ والعامة على نِصف، بكسر النون"(قطرب،2021، ج 2، ص326). ولقد ذكر سيبويه لغة الكسر والضم في هذه الكلمة، ولم يذكر لغة الفتح(سيبويه 1988ن ج3، ص571) ، أمّا ابن السراج فقد ذكر الفتح والكسر (ابن السراج،1996، ج2، ص341)، وذكرهما كذلك ابن سيده، وبيّن أنّ لغة الكسر أكثر وأعمّ في لسان العرب(ابن سيده، 1993، ص72). وقد حظي موضوع اللغات عند قطرب بدراسات خاصة أشرت إليها في مقدمة الدراسة، وهي مغنية عن التفصيل هنا.

ولقطرب نظرات لغويّة في حالات من الإبدال اللغوي، خصوصاً أصوات العلة، وما يطرأ عليها من تحولات، يقول في القيّوم: "القيوم: فيعول من قمت؛ فالأصل قيووم فأدغم مثل: ما بها ديار؛ فيعال من دار يدور، فأدغم؛ وقلب إلى الياء لخفة الياء وثقل الواو. وقال ابن عباس: القيوم القائم على كل نفس، وقال الحسن: القيوم القائم على كل نفس يكلؤها ويحفظها"(قطرب، 2021، ج2، ص331). وما ذكره قطرب من القلب

والإبدال في صوت الواو، ومن ثم إدغامه في الياء التي قبلها ذكره النحاة واللغويّون من قبله مثل سيبويه(سيبويه،1988،ج4، ص367)، وممّن وافقوا قطرباً في التفسير ابن يعيش(ابن يعيش،2001، ج5، ص437)، وابن عصفور(ابن عصفور، 1996، صص325)، والاستراباذيّ(الرضي،1975،ج2، ص789)، وغيرهم.

ونجد ملامح الدرس الفنولوجي الذي يفسّر البنية الصرفيّة بمنظور صوتي وظيفي حاضراً في فكر قطرب ومن أمثلة ذلك حديثه عن القراءات الواردة في قوله سبحانّه وتعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾، (البقرة، آية40)، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، (الأنعام، آية162)، حيث تحدث عن قراءة الأعرج بتسكين الياء، وهو لا يتوافق مع الكلام العربي ففي ذلك التقاء للساكنين، يقول: " يسكن الياء؛ وذلك شاذ لا يؤخذ به؛ لأنّه يجمع بين ساكنين بغير تثقيل. وقراءة العامة بالنصب لتحرك الياء لئلا يلتقي ساكنان؛ وهي الجيدة"(قطرب،2021، ج1، ص143).

ويبيّن ابن يعيش أن هذه القراءة قراءة شاذة لوجود التقاء الساكنين في الألف والياء، وإنّما قرأ بها القارئ لتوهم الوقف(ابن يعيش،2001ن ج2، ص210). وممّن أشار إلى هذه القراءة وما طرأ عليها من مخالفة للنظام الصوتي العربي باجتماع الساكنين فيها ابن هشام الأنصاري(ابن هشام،1985، ص621)، والشاطبي(الشاطبي،2007، ج5، ص546)، والأزهري(الأزهري، 2000، ج1، ص739)، وغيرهم.

ووجه الشذوذ في هذه القراءة الكريمة التي نقلها قطرب أنّ القارئ جمع بين ساكنين "الألف والياء" على غير المعهود من حد القاعدة وفقاً لما يراه البصريون، وبالتالي حُكِم على هذه القراءة بأنها شاذة، وبأنها مخالفة للوجه المعهود في العربية(السلمي، 2021، ص326).

إنّ كلام قطرب السابق الذي تطرّق فيه للحديث عن تحرك الياء بالفتح منعاً لالتقاء الساكنين يدلّ على فهمه العميق للغة ، وأنّه يرى أنّ للحركات وظيفة بالغة الأهمية، من هنا تطرّق لبيان هذه الوظيفة، على الرغم من أنّ أحداً لم ينسب الرأي فيها إلى قطرب. إنّ هذه المسائل المختصرة تكشف تعمّق قطرب في النظر اللغويّ الصرفيّ، وأنّه

من الرعيل الأول الذي فسر المسائل اللغوي بعمق، وأنّه كان من رواد علماء إعراب القرآن وبيان معانيه.

ب – مسائل نّحويّة:

حظيت المسائل النحويّة بقدر أكبر من اهتمام قطرب في كتابه(معاني القرآن) ونجد كثيراً من المسائل التي نسبت إلى الفراء بوصف كتابه من أوائل كتب معاني القرآن التي وصلت إلينا نجدها حاضرة عند قطرب وهو أقدم من الفراء، ومن ذلك مثلاً حديثه عن انتصاب "إيّاك" في سورة الفاتحة على أنّها مفعول به للفعل "نعبد" المتأخر عن مفعوله، يقول في ذلك: " فأما انتصاب (إياك) فب (نعبد) وكذلك الفعل الذي معه فاعله، تنصب به أربعة أشياء: المفعول والظرف والمصدر والحال؛ وإنما انتصب به لاجتماع الفاعل والفعل، فلم يفرغ الفعل للمفعول فيرفعه، وذلك قولك:(ضربت زيدًا اليوم ضربًا قائما) ف(زيد) هو المفعول و(اليوم) ظرف؛ لأنّ الضرب فيه وقع، و(ضربًا) مصدر لأنّه صدر من لفظ الفعل، والحال (قائمًا) لأنّه ضربه في هذه الحال"(قطرب، 2021، ج1، ص57).

ومن ذلك أيضاً ما جاء في كلام قطرب من مجيء (أو) بمعنى الواو، يقول في ذلك: " وأمّا قوله ﴿فَهِي كَالحِجَارةِ أو أشَدّ قَسْوةً﴾(البقرة، آية74)، فيجوز أن يكون: وأشد قسوة، فتكون (أو) كالواو في اللغة، وكذلك ﴿إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (الصافات، آية147)، وكذلك ﴿ولا تُطِعْ منهم آثِماً أَو كَفُوْرا﴾ (الإنسان، آية24)، المعنى وكفورًا، وكذلك ﴿لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ (النور، آية31)، وكذلك ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾ (النور، آية61)، المعنى الواو، كأنّه يقول: وبيوت آبائكم، ولم يرد واحدا دون آخر؛ وقد قالت ذلك الشعراء"(قطرب، 2021، ج2، ص251).

ويبيّن قطرب في نصه السابق ما كان من احتمال مجيء "أو" بمعنى الواو في هذه الآيات الكريمة، وهو مذهب جيد، أيده ابن جني، ونسبه إلى قطرب، بل أنّه ذكر معقباً عليه أنّ هذا هو المذهب الصحيح، ولكنّ ابن جني أشار إلى احتمال أن تكون "أو" هاهنا على بابها، وهو مذهب آخر مقبول كذلك عنده، واستثنى آية: "مائة ألف أو

يزيدون"، فإنها على بابها بمعنى الشك، ولم يقل بقول قطرب الذي أشار إلى أنها بمعنى الواو، ولا بقول الفراء الذي ذكر أنها بمعنى "بل"(ابن جني، 1986،ج2، ص462–463).

وقد أشار النحاة إلى المذاهب الواردة في هذه الآية الكريمة، وما جاءت عليه "أو" هاهنا، مشيرين إلى قول الفراء وقطرب، وقول قطرب ذهب إليه أكثر الكوفيّين (ابن الأثير،2000، ج1، ص362). ومن هنا فقد جاء قطرب بهذا الرأي، وتابعه بعض النحاة موافقة أو خالفوه، ونقلوا رأيه الذي أشار إليه في احتمال أن تكون "أو" هاهنا بمعنى الواو، واستدل على صحة ذلك بما جاء من الآيات القرآنية الكريمة.

ومن ذلك ما تحدث به قطرب أيضاً عن حركة العين في "معَ"، فذكر أنّها قد تأتي مفتوحة وقد تأتي ساكنة، وهما لغتان، يقول في هذه الفكرة: " بتحريك العين وإسكانها لغتان: كنت معَكُمْ، ومعْكُمُ، ومعَ زيد ومعْ زيْد، وكُنْتُ معَ القوم، على الأصل يفتحونها؛ لأنّها مفتوحة. وقال بعضهم: كُنْتُ معِ القوم، فكسر؛ شبه ذلك بما يكسره لالتقاء الساكنين نحو: اضربِ الرجل، وخذِ المال. وقالوا: حيث أفردوها: كنا معاً"(قطرب، 2021، ج2، 256).

وما أشار إليه قطرب في كلامه السابق يوضح الحالات المسموعة عن العرب في لفظ هذا الظرف، فيصلح فيه الفتح والسكون، على أنّ السكون لغة قليلة، والأكثر فيه الفتح، كما أنّ الأكثر فيه الفتح كذلك عند التقاء الساكنين، وقد سُمع عن العرب الكسر على أصل التقاء الساكنين(النجار، 2001، ج2، ص354)، وهو ما وضحه قطرب، ويعدّ ما أشار إليه قطرب في حديثه السابق فكرة نحويّة سابقة، وذلك تبعاً لاهتمامه بلغات العرب، وما جاء عنهم من الكلام المسموع، وقد اعتنى قطرب بتوضيح هذه الفكرة من جوانبها كافة خصوصاً عند التقاء الساكنين، وكل ذلك اعتماداً على المسموع من كلام العرب، ممّا يعني أسبقيته من بين النحاة في تناول مثل هذه الأفكار اللغويّة وبحثها على أصولها.

ومن الأمور التي تحدث عنها كذلك ويعدّ من الأوائل الذين تناولوها الحديث عن الرّبط بين الجانب النحوي والجانب الصوتي في توجيه الإعراب، مثل الحركة الإعرابية

لكلمة "أمرئ" في العربيّة، فالراء تتبع في حركتها حركة الهمزة رفعاً ونصباً وجراً، وهو ما ذكره قطرب صراحة في قوله: " بعض العرب يقول: هذا امرُؤ سوء مضاف، ورأيت امرَأ سوء، ومررت بامرِئ سوء، فيتبع الراء الهمزة؛ وقيس تفتح الراء في كل وجه فيقولون: هذا امرَأ سوءٍ، ومررت بامرَءِ سوء؛ فإذا دخلت الألف واللام فبعض العرب يقول: هذا المَرْء فينصب الميم في كل وجه؛ وبعضهم يقول: هذا المُرْء ، ورأيت المَرْأ فاعلم، ومررت بالمَرْء فاعلم فيتبع؛ وبعضهم يضم الميم في كل وجه فيقول: هذا مُرْء ومررت بمُرْء ورأيت مُرْءا"(قطرب، 2021، ج2، ص263).

وما جاء به قطرب من قبل ذكره النحاة قبله مثل الخليل وسيبويه، ولكنّ قطرباً توسّع في التفسير وتأثر به طائفة ممن جاؤوا بعده، وبيّنوا أن الحركة التي تظهر على الراء في هذه الكلمة تابعة للحركة الإعرابية رفعاً ونصباً وجراً، وممّن ذكر ذلك المبرد(المبرد،1996، ج2، ص314)، وابن جني(ابن جني، 1954، ص62)، وابن الناظم(ابن الناظم، 2000، ص19)، وناظر الجيش(ناظر الجيش، 2008، ج10، ص5321)، وغيرهم الكثير. وهذا يمعنى أنّ قطرباً كان من النحاة السباقين في التحليل اللغويّ ، وقد ذكر ذلك في مواضع من كتابه "معاني القرآن"، وأثبت الكلام حول هذه الفكرة، مبيّناً ما فيها من الجوانب المختلفة، وموضحاً ما جرى في حركة الراء التي أتبعت الهمزة، وقد جعل بعض النحاة هذه الحالة التي نُقِلت عن العرب دليلاً على إعراب الأسماء الستة.

ويبيّن قطرب الفرق بين الاسم "وَسَط، والظرف "وَسْط" في منهج يربط النحو بالمعنى، فإذا كان المقصود منها اسماً تحركت عينها بالفتحة، وإذا كان المقصود الظرف لم توضع حركة على عين الكلمة، يقول: "إذا كان الوسط اسما حركت الأوسط كقولك: (أمة وسَطًا)؛ وضربت وسَطه، والظرف يخفف: جلست وسْط الدار؛ يريد في وسطها"(قطرب، 2021، ج2، ص278).

وما أتى به قطرب في كلامه السابق من حديث عن حركة عين الكلمة أتى به غيره من اللغويّين، إلا أنّ هناك اختلافاً في طبيعة التفسير، ففي حين ربط قطرب حركة عين "وسط" بالفرق بين الاسم والظرف، ربطها غيره بكون الظرف قابلاً للتقسيم أم لا،

فإذا كان قابلاً للتقسيم سكنت السين، وإذا لم يكن قابلاً للتقسيم تحركت، نحو: ضربتُ وَسَطَ رأسه، وجلستُ وَسْط القوم(ابن الصائغ، 2004، ج1، ص286). ويؤكد فاضل السامرائي هذا الفرق، ولكن دون الإشارة إلى قطرب، بل بالإشارة للمبرد، يقول: " بسكون السين ظرف بمعنى (بين)، يقال: (جلست وسْط القوم) بالتسكين، أمّا وسَط بفتح فهو اسم، تقول: ضربت وسطَه"(السامرائي، 2000، ج2، ص220).

وتحدث قطرب كذلك عن تنوين كلمة "عرفات" وما شابهها من الألفاظ التي تُلحق بما جُمِع على الألف والتاء، وبيّن أنّها قد تنون وقد لا تنون، يقول في ذلك: " وأمّا قوله (عرفاتٍ) البقرة 198، فقد يجوز فيها ألا تنون (من عرفاتِ فاذكروا) يصير اسمًا واحدًا، ولا تريد حكاية الجمع؛ وكان أبو عمرو –فيما زعم يونس– يقول: هذه قريساتُ فاعلم، وكتبت قريساتِ فاعلم، يجرها بغير نون؛ وقد قال بعضهم: قريسياتٌ فأدخل ياء أخرى. ومثل عرفاتٍ: أذرعاتٌ وعاناتٌ، إن شئت نونت على حكاية الجمع، وإن شئت لم تنون؛ يصير واحدًا مؤنثًا لا نون فيه للتأنيث؛ ويكون مرفوعًا في موضع الرفع: هذه عاناتُ وأذرعاتُ؛ ومخفوضها في موضع الخفض والنصب: رأين عاناتِ، ومررت بعاناتِ؛ لأنّها تاء الجميع في الأصل"(قطرب، 2021، ج2، ص297). لقد أوضح النحاة من بعد قطرب هذه الحالة الإعرابية التي يكون عليها "عرفات" إذا كان مُلحقاً بجمع السلامة أم لا، وسبب التنوين فيه إذا كان ملحقاً، على أنّه تنوين مقابلة، أمّا إذا سُمي به فهو لا ينون بناء على كلام قطرب السابق، وممّن أشار لهذه الفكرة المبرد(المبرد،1996،ج4،ص38)، وابن يعيش(ابن يعيش،2001،ج1، ص142)[1]، والشاطبي(الشاطبي، 2007، ج5، ص578–579)، وغيرهم.

ويتحدّث قطرب كذلك عن عمل "عسى" واللغات الواردة فيها، إذ هي تعمل عمل "كان" وأخواتها، يقول في ذلك: "من قال (فهل عَسِيتم) فهي لغة قليلة، و(عَسَيتم) الكثيرة؛ فإذا قلت: فَعَسَى أن تفعلوا؛ فعسى عاملة فهي في (أن تفعلوا)؛ كأنّه في التمثيل إذا مثلته: عَسْي الفعل، وإن كان لا يستعمل؛ وإذا قلت: عَسَيتم أن تفعلوا، وعَسَيتما أن تفعلا للاثنين،

---

1. ابن يعيش، شرح المفصل، ج: 1، ص: 142.

كانت عَسَى رافعة للأسماء المضمرة فيها؛ و(أن تفعلوا) في موضع نصب، كأنّه قال: عَسَيتم للفعل، كقولك: قَرُبتم من الفعل"(قطرب، 2021، ج2، ص328).

يبيّن النص السابق لقطرب الحكم اللغويّ لـ "عسى"، وكيف أنّها ترفع ضميراً متصلاً كما ترفع اسماً ظاهراً، علاوة على ما ذكره من اللغة الكثيرة واللغة القليلة فيها. وما تحدث عنه قطرب في ما يخص "عسى" تناوله النحاة واللغويّون من بعده، فذكروا هذه اللغات، وبيّنوا الحالات النحويّة التي تأتي عليها، باتصال الضمير أم بغير اتصاله، يقول ابن يعيش في تفصيل ذلك: " وأمّا "عَسَى"، فهو فعل من أفعالِ المقاربة، وهو محمولٌ في العمل على "كَانَ"، لاقتضائه اسمًا وخبرًا، واسمُها مشبَّهٌ بالفاعل يرتفع ارتفاعَه، كما أن "كَانَ" كذلك، فإذا كُنِّي عن اسم "عَسَى"، فينبغي أن يكون كالكناية عن اسمِ "كَانَ"، ضميرا متّصلًا مرفوعَ الموضع، وعَليه الاستعمالُ، نحوُ: عَسَيتُ، وعسيتَ، وعسيتُمَا، وعسينَا، وعسيتُم (ابن يعيش، 2001، ج2، ص343). كما ذكر ذلك الملك المؤيد(شاهنشاه، 2000، ج1، ص253)، والأندلسي (أبو حيان، 1998 ، ج3، ص1232)، وغيرهما.

ومن أشهر ما نُقِل عن قطرب أنّه رفض أن يكون الإعراب دخل الكلام لعلة دلالية أو معنى يضيفه على الكلام، إلا أنّ جُلّ النحاة رفضوا قول قطرب هذا، وذكروا أنّ الإعراب دالّ على المعاني، والحركات دوال على المعنى، يقول العكبري في ذلك: " وحجّةُ الأوّلين: أنَّ الكلامَ لو لم يُعرب لالتَبست المعاني، ألا تَرى أنّك إذا قلتَ: ضربَ زَيدْ عَمْرُو، كلَّم أَخوك أَبوك، لم يُعلم الفاعل من المفعول، وكذلك قولهم، ما أَحسن زيد لو أهملته عن حركةٍ مخصوصةٍ لم يُعلم معناه؛ لأنَّ الصيغةَ تَحتَمِلُ التّعجّبَ والاستفهامَ والنّفيَ، والفارقُ بينهما هو الحركات"(العكبري، 1986، ص156–157).

فالحاجة الماسة للإعراب كي تتفرق المعاني، وتتغاير الدلالات هو الذي أوجد الإعراب في الكلام، وأنّ ما ذهب إليه قطرب من أن هذه الحركات إنّما جيء بها كي يفصل بين السواكن والألفاظ، وكي يسهل نطق الحروف الصامتة إلى جوار بعضها بعضاً إنّما هو قول مردود بالقياس والمسموع من كلام العرب، وتغاير المعاني تبعاً لتغاير المواقع

الإعرابية للألفاظ(العكبري، 1995، ج1، ص55)، فكلام العكبري السابق لا يمثل وجهة نظره هو فحسب، بل يمثل وجهة نظر أكثر النحاة واللغويّين قديماً وحديثاً.

وفي نهاية هذا المبحث نلحظ أن قطرباً لم يكن مجرد ناقل للقراءات القرآنية فحسب ومؤولاً لها، بل ضمّن حديثه عن القراءات القرآنية ومعاني القرآن حديثاً عن ألفاظ اللغة، وبعض المظاهر التقعيدية التي ارتبطت بتلك الكلمة أو ذلك اللفظ، مع التركيز في أكثر الأحيان على المسائل الصرفيّة والمعجمية، وهو ما استطاع إظهاره من خلال ثقافته الموسوعية، ومعرفته الدقيقة بلغات العرب، وروايات العلماء، ممّا يجدر أن نشير إليه بالبنان وإحقاق حقه باعتباره عالماً متميزاً ومميزاً في نشأة النحو العربي لم يأخذ حقه بالصورة المناسبة.

المبحث الثاني: موقف العلماء من الرواية والنقل عن قطرب:

من بين أهم الأمور التي يمكن ملاحظتها لدى العلماء أنّهم كانوا يروون عن قطرب، غير أنّ أكثر تلك الروايات تركزت في معاني المفردات، ودلالة الألفاظ، ونشير هنا إلى أنّ كثيراً من المسائل التي نُقِلت عن قطرب كان النحاة واللغويّون يسكتون عن الحكم فيها، فلا يرفضونها ولا يوافقونها، بل يكتفون بروايتها، وهذه المسائل ستكون ضمن المسائل التي وافقه بها النحاة أو سكتوا عنها، ومن المسائل ما خالفوه فيها، وهي مسائل مرتبطة غالباً بآراء الكوفيّين.

أولاً: المسائل التي وافقه عليها النحاة أو سكتوا عنها:

ثمّة مجموعة من المسائل اللغويّة – غير التي ذُكرت من قبل – وافق فيها النحاة واللغويّون قطرباً فيما ذهب إليه، سواء أكانت تلك الموافقة صراحة أم إقراراً عبر السكوت على ما ذهب إليه قطرب من رأي، وهي مذكورة في مصنفات هؤلاء النحاة، مسندة الرواية لقطرب نفسه، أي أنّهم اهتموا بأن تكون الرواية عن قطرب مسندة إليه منسوبة له، وفيما يلي إيراد لبعض تلك المسائل.

ذكر النحاس رأياً لقطرب في معنى "الرحمن الرحيم" بأنّه توكيد بعد توكيد، إذ تتحصل الفائدة من التوكيد عبر هذا المظهر من إيراد الكلام، وهو "تفضلٌ بعد تفضلٍ وإنعامٌ بعد إنعامٍ وتقويةٌ لمطامع الراغبين، ووعدٌ لا يخيب آمله"(النحاس، 2004، ص66)، والتوكيد كثير في كلام العرب وبه تتحصل الفائدة(النحاس، 1989، ج1، ص54).

ومن ذلك أيضاً ما جاء عند النحاس من قوله إنّ قطرباً روى أنّ الربّة نوع من أنواع الشجر(النحاس، 2004، ص103)، "والبرنكان كل ما كان من الحمض وسائر الشجر لا يطول ساقه"(النحاس، 2004، ص104). وذكر النحاس قولاً لقطرب يبيّن فيه سبب تسمية "القرآن" بهذا الاسم، يقول: "سمي قرآناً لأنّ القارئ يظهره ويبيّنه ويلقيه من فيه، من قولهم: ما قرأت الناقة سلاً قط، أي: لم ترم بولد"(النحاس، 2004، ص121). ولم يعقب النحاس على رأي قطرب على الرغم ممّا تميز به منهجه من نقد آراء العلماء.

ويوافق أبو علي الفارسي رأياً لقطرب يرى فيه أنّ الضمير قد يسكن على الأصل، وذلك في قولنا: "لهْ أبوك، بإسكان الهاء، يقول معقباً على رأي قطرب هذا: "وهذا صحيح

في القياس مستقيم، وذلك أنّه لما وجب البناء، وحرك الأخير منه بالفتح لالتقاء الساكنين، ثم حذف حرف اللين الواقع موقع اللام، كما حذف في نحو "يدٍ" و "دمٍ"، وبقي على حرفين، زال التقاء الساكنين، فبني على السكون لزوال ما كان يوجب التحريك من التقاء الساكنين"(الفارسي، 1987، 2003).

وبيّن ابن جني أنّ ما جرى في هذه الحالة نوع من إجراء الوصل مجرى الوقف، إذ عامل المتكلم الضمير على أنّه موضع للوقف، وهو في الحقيقة موضع للوصل، الأمر الذي دفعه إلى حذف الحركة، وتسكين الهاء، ومن جهة أخرى فقد أشار ابن جني إلى أنّ مثل هذا الأداء اللغويّ منسوب لبعض قبائل أزد السراة، وفيه يأتي بالرواية عن قطرب(ابن جني، ج1، ص129).

ومن المسائل اللغويّة كذلك ما نقله ابن جنّي عن قطرب من زيادة اللام الشبيهة بلام الابتداء في خبر "أنّ" إذ لام الابتداء تأتي مع خبر "إنّ" إلا أنّ هناك من الشواهد ما جاءت فيه اللام مع خبر "أنّ" ومن ذلك قول الشاعر(ابن جني، 2000، ج2، ص57):

أَلَمْ تكنْ حَلَفْتَ بِاللهِ العَلِيّ أَنَّ مَطاياكَ لَمِنْ خَيْرِ الْمَطي

وهو مروي عن قطرب، فاللام في قوله: لَمن" زائدة في هذا الموضع، وليست لام الابتداء (ابن جني، 1986، ج1، ص316). ومن ذلك ما يرتبط بالأصوات خصوصاً ما يرتبط بإشباع الحركات، إذ يُروى عن قطرب أنّه قال: لهو، في: "لهُ"، بإشباع حركة الهاء، ومنه قول الشاعر المروي عنه كذلك:

وأشربُ الماءَ ما بي نَحْوهو عطشٌ إلا لأن عيونهْ سيل واديها

فأشبع حركة الهاء، وجعل منها الواو(ابن جني،1986، ج1، ص372).

ويروي اللغويّون كذلك عن قطرب حديثه عن معنى الفعل "هرّ، أو أرّ"، يقول ابن الحداد: "هرّ سلحه، وأرّ سلحه حتّى مات: إذا استطلق بطنه"(ابن الحداد، 1975، ج1، ص148).

ويكثر ابن الحداد من الرواية عن قطرب في معاني الأفعال، وهي بذلك مرتبطة بالدلالة أكثر من ارتباطها بالجوانب النحويّة والصرفيّة، ومن ذلك قوله أيضاً: "وقال قطرب: عكش النبت: إذا كثر والتفّ"(ابن الحداد، 1975، ج1، ص274)، وقوله أيضاً: " قال

قطرب: حضجت النّار مثل: حضأتها: إذا أوقدتها"(ابن الحداد، 1975، ج1، ص381)، وكذلك: " اقمهّد الرجل رفع رأسه، واقمهدّ أيضا: مات"(ابن الحداد، 1975، ج2، ص136)، وكذلك: " قال قطرب: كثعت الغنم: إذا سلحت، وكثعت لحيته وكثّعت: إذا طالت، وكثفت"(ابن الحداد، 1975، ج2، ص183)، وكذلك: " قال قطرب: لخمت الشيء لخما: قطعته"(ابن الحداد، 1975، ج2، ص464) ، وغيرها من المواضع.

نلحظ من خلال المواضع الكثيرة التي روى فيها ابن الحداد عن قطرب في معاني الأفعال أن جُل تركيز العلماء في الرواية عن قطرب تمثل بمعاني الألفاظ، وهو ما جعلهم يشيرون إلى تلك المعاني المنوطة بهذه الألفاظ دون ردّ عليها، ودون رفضها، بل يوحي كلامهم عند نقل هذه الألفاظ والمعاني أنهم يوافقون قطرباً فيما ذكره من المعنى، وهو ما جعلهم يكثرون من الرواية عنه في هذه الأحوال، وإسناد تلك الروايات إليه، لا سيما أنّ قطرباً من اللغويين المتقدمين وقد أدرك عصر ازدهار الرواية.

ومن ناحية أخرى لم يكتفِ ابن الحداد في إيراد رأي قطرب وحده في معنى الكلمة أو الفعل الذي يتحدّث عنه، إنّما يجعل رأيه ضمن عدد من أقوال العلماء واللغويّين الذين تناولوا هذا المعنى، ومن ذلك مثلاً حديثه عن معنى الفعل "سَغْسغَ"، حيث يقول: " ويقال: سغسغت شيئًا في التّراب سغسغة بالغين المعجمة: إذا دحرجته فيه، وسغسغت الدّهن على الرأس مثله، وسغسغت شعره بالدّهن: إذا أرويته، وحكاها، «قطرب» بالسّين والصاد لغتان، وقال أبو زيد: فإن أوسعت الطعام دسما: قلت سغسغته سغسغة. قال أبو بكر: سغسغت الشيء: حرّكته عن موضعه مثل الوتد، وما أشبهه. وسغسغت ثنيّته: إذا تحرّكت"(ابن الحداد، 1975، ج3، ص572).

ويذكر ابن القطاع الصقلي طائفة من الروايات عن قطرب تشمل معاني الألفاظ ودلالاتها، ومن ذلك قوله: "وعكاكيش لذكر العنكبوت فأنّه أيضا اسم مفرد حكاه قطرب ووزنه (فعاعيل)"(الصقلي، 1999، ص200). وقوله كذلك: " قال قطرب: الحيهل شجر، الواحدة حيهلة وهو الهرم"(الصقلي، 1999، ص215).

ويروي ابن يعيش عن قطرب أنّه ذهب كذلك إلى تحريك همزة الوصل بالكسر دائماً، دون أن ينظر إلى الحرف الثالث من الفعل أو الكلمة، فقد رُوي عنه أنّه قال: اِقتُل،

بالكسر، وذلك متابعة للأصل الذي يُحتكم إليه عند التقاء الساكنين(ابن يعيش، 2001، ج5، ص308).

ثانياً: المسائل التي خالفه فيها النحاة واللغويّون:

توجد مجموعة من المسائل التي خالف فيها النحاة قطرباً فيما ذهب إليه، من ذلك مسألة الإعراب، ومسألة عدّ "نعمَ" اسماً لا فعلاً، ومسألة الإعراب بالحروف، وغيرها من المسائل، وثمة مسائل أخرى تضاف إلى ما سبق كان للنحاة رأيهم في رفضها ومخالفة ما ذهب إليه قطرب في ذلك، وفيما يلي ذكر لأهمها.

من ذلك ما ذكره الزجاجي من معنى الجذر "فسق"، إذ بيّن أن قطرباً وحده قال بأن معناها الاتساع، ومنه قول العرب: تفسّق الرجل في أمره، إذا اتسع فيه، وذلك كي يُظهر ما لديه من مذهب(الزجاجي، 1985، ص45)، ثم يعقب الزجاجي على كلام قطرب هذا بأنّه لا يوافقه فيما ذهب إليه من هذا المعنى.

ومن المسائل التي حظيت بعدم موافقة من النحاة ما رُوي عنه أنّه ذهب إلى أن الألف والواو والياء في المثنى والجمع بمثابة الضمة والفتحة والكسرة من الأسماء الأخرى(السيرافي، 2008، ج1، ص133)، أي أنّه يعدها علامات إعراب. وكلام قطرب في هذه المسألة مرتبط بكلام الكوفيّين الذين قالوا: " الدليل على أنّها إعراب كالحركات أنها تتغير كتغير الحركات، ألا ترى أنّك تقول: قام الزيدان، ورأيت الزيدين، ومررت بالزيدين. وذهب الزيدون، ورأيت الزيدين، ومررت بالزيدين، فتتغير كتغير الحركات، نحو "قام زيد، ورأيت زيدًا، ومررت بزيد" وما أشبه ذلك، فلما تغيرت كتغير الحركات دلّ على أنها إعراب بمنزلة الحركات، ولو كانت حروفَ إعراب لما جاز أن تتغير ذَوَاتُها عن حالها؛ فلما تغيرت تغير الحركات دلّ على أنها بمنزلتها"(الأنباري، 2003، ج1، ص29).

وكان الرد على هذا القول بأنّ الأصل في هذه الأسماء أنّها لا تتغير الحروف فيها، ولكنها تغيرت لإزالة اللبس عنها في حال إعرابها، كما أنّها تغيرت في التثنية والجمع لما لهما من خصائص تميزها عن الاسم المفرد، كما أنّنا لو قلنا أنها حروف إعراب

لوجب أن نقول في ضمائر التثنية والجمع وتغيرهما بأنّها حروف إعراب شأنها في ذلك شأن التثنية والجمع، ممّا يدل على عدم صحة ما ذهب إليه قطرب ومن تابعه من الكوفيّين(الأنباري، 2003، ج1، ص32).

ومن الروايات التي نقلها اللغويّون والنحاة عن قطرب ما ذكره في واحدة من لغات طيء، وهي قلب تاء جمع المؤنث السالم هاءً، فيقولون: كيف البنون والبناه، وكيف الأخوة والأخواه(الزمخشري، 1993، ص515)، وهي رواية ينقلها الزمخشري عن قطرب، يبيّن فيها بعض ما سُمع عن العرب في لهجاتها وطرائق كلامها حول هذا الاستعمال اللغويّ، قاصداً توضيح هذه اللغة، وبيان مكانتها وحجيتها بين اللغات المسموعة الأخرى، مع توجيه هذه اللغة على أنها أشبهت الكلام في حال الوقف، فكأن المتكلم وقف على هذه الكلمة، فقلب التاء هاءً ظناً منه أن هذه التاء هي التي تنقلب هاءً في الوقف، ولكن ابن يعيش في شرحه للمفصل بيّن أن هذه اللغة شاذة ولا يُقاس عليها(ابن يعيش، 2001، ج5، ص404). وممّا يؤيد ضعف رأي قطرب، وعدم إجازة اللغويّون له أن هذه التاء جاءت لمعنى وهو الجمع، فإذا قُلبت عن وجهها زال المعنى الذي جاءت لأجله، من هنا لم يصلح قلبها هاءً وفقاً لرواية قطرب(الاستراباذيّ، 1975، ج2، ص292).

وقد ذكر قطرب أنّ من العرب من يقول في "نِعمَ"، نعيمَ، ممّا دفعه للقول بأن "نعمَ" اسم وليست فعلاً(قطرب، 2021، ، ج2، ص252). وصيغة "فعيل" ليست من صيغ الأفعال، وإنما هي من صيغ الأسماء، وقد روى هذا القول ابن جني عن قطرب(ابن جني، 1999، ج1، ص357).

وهو ما نفاه الأنباري على لسان البصريين في حديثه عن هذه المسألة، وذكر أنّ هذا القول ينفرد قطرب بروايته، وهو شاذ لا يُحتج به، وما جرى في هذه الحالة مجرد إشباع للحركة، فنشأت عنها الياء، وإشباع الحركات كثير في العربيّة، وبالتالي فأنّه يُضعف قول قطرب السابق(الأنباري، 2003، ج1، ص99).

وممّا روُي عن قطرب وخالفه النحاة فيه ما ذهب إليه في قوله: انظر إلى كيف يصنع؟، إذ إنّ حرف الجر قد دخل على "كيف" الاستفهامية، وهي سؤال عن الحال(الزمخشري، 1993، ص218). ووجه رفض النحاة واللغويّين لما جاء عن قطرب في هذه المسألة

منوط بأن "كيف" سؤال عن الحال، وبالتالي لا يصلح أن يدخل عليها حرف الجر، وليس الأمر مقصوراً على "كيف" وحدها، بل يشمل سائر أسماء الاستفهام الأخرى، وقد انفرد قطرب بهذه الرواية(ابن يعيش، 2001، ج3، ص140–141). وعموماً فإنّ أكثر النحاة لم يوافقوا قطرباً في ما ذهب إليه في هذه المسألة، وإنّما جعلوا هذا المسموع من كلام العرب شاذاً لا يُقاس عليه.

الخاتمة والنتائج:

بيّن البحث أنّ قطرباً كان قليل الاهتمام بتوجيه القراءات صرفياً، وأنّه غلّب التوجيهات والعلل النحوية أي أنَّه اعتنى بالتوجيهات النحويّة أكثر من الصرفيّة، وهذا ليس غريباً؛ فالاختلافات في القراءات تطغى عليها المسائل النحويّة عند معظم علماء التفسير ومعاني القرآن، فلا غرو أنّ اهتمام قطرب منصب على الجانب النّحوي، مع وجود مسائل صرفية وفنولجية ودلالية واضحة في كتابه، وله فيها آراء عميقة وكانت مرواته مصدر لمن نقل عنه لاحقاً.

لم يكن قطرب مجرد ناقل للقراءات القرآنية فحسب ومؤولاً لها، بل ضمّن حديثه عن القراءات القرآنية ومعاني القرآن حديثاً عن ألفاظ اللغة، وبعض المظاهر التقعيدية التي ارتبطت بتلك القراءات، وكان يتوسع في الحديث عن الدلالة وعن لغات العرب، وينفرد بمرويات من الاستعمالات، وهذا أجلى لنا ثقافته الموسوعية، ومعرفته الدقيقة بلغات العرب، وروايات العلماء،

إن الرواية عن قطرب كانت حاضرة عند جمهور النحويين الأوائل، وقد أخذوا عنه كثيراً من الآراء اللغويّة، وفي أكثر الأحيان كانت آراء قطرب ترتبط بآراء الكوفيّين، وشأنه في ذلك شأن بقية العلماء من حيث موافقته في آرائه أو مخالفته، ولكن الذي ظهر في البحث أنّ المسائل التي وافقه فيها النحاة أكثر من تلك التاي خالفوه فيها.

بيّن البحث أنّ قطرباً تبنى بعض آراء الكوفيين في مسائل خلافية على الرغم من تتلمذه على يد سيبويه، ولهذا كانت مخالفة العلماء لبعض آرائه نابعة من اختلاف

النحاة البصريين والكوفيين، ولم يكن قطرب وحده مقصوداً بهذه المخالفة، وبمعنى آخر لم تشير المخالفات إلى قصور قطرب بل كانت تدلّ على فكره النحويّ واتجاهاته في المسائل النحويّة.

على الرغم من قول قطرب بدور الحركات الإعرابية في مسألة وصل الكلام، وهي المسألة التي تشيع في فكره النحويّ، إلاّ أنّ البحث كشف بلا ريب أنّ قطرباً ربط في كثير من المسائل بين الحركة الإعرابية والمعانيّ، وهذا يعني أنّه لم ينكر دور العلامة الإعرابية في وظيفتها الدلالية على المعانيّ، غير أنّه أبرز دورها في مسألة الوصل، فالحركة الإعرابية لها وظائف متنوعة في السياقات ولا تقتصر على جانب وظيفي واحد.

عهدنا في كثير من الدراسات سعياً من العلماء لتتبع آراء قطرب في مصادر نقلت عنه، وعندما نشر كتابه(معاني القرآن) وجدنا فكراً نحوياً متكاملا يكشف شخصية قطرب ويتضمن آراءه في الأصوات، والصرف والنحو، والدلالة، وفيه دلالة كافية على منهجه في توجيه القراءات وعللها، والأهمّ من ذلك وجدنا فيه فيضاً من المرويات اللغوية وتوثيق لغات العرب، وكلّ هذا يبيّن فضل قطرب في حقل الدراسات اللغوية.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم، سليمان، والعليم، فائزة (2018م). آراء قطرب المتداولة بين النحاة واللغويين، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، مجلد: 19، ع (3)، (16 – 28).
- ابن الأثير، المبارك(2000). البديع في علم العربيّة، تحقيق: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، ط1.
- الأزهري، خالد(2000م). شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- الاستراباذيّ، رضي الدين (1975م). شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الأنباري، كمال الدين(2003م). الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريّين والكوفيّين، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى.
- ابن بابشاذ، طاهر (1977م). شرح المقدمة المحسوبة، تحقيق: خالد عبد الكريم، المكتبة العصرية، الكويت، الطبعة الأولى.
- الثمانيني، عمر (1999م)، شرح التصريف، تحقيق: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى.
- ابن جنّي، عثمان(1986)، الخصائص. تحقيق محمد علي النجّار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3.
- ابن جنّي، عثمان(2000)، سر صناعة الإعراب. دار الكتب العلمية بيروت ، ط1.
- ابن جني، عثمان(1999م)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط1.
- ابن جني، عثمان(1954م)، المنصف: شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني. دار إحياء التراث القديم، ط1.

- ابن الحداد، سعيد(1975م)، كتاب الأفعال. تحقيق: حسين محمد محمد شرف، مراجعة: محمد مهدي علام، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ط1.
- الأندلسيّ، أبو حيّان (1998م)، ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1.
- الزجاجي، عبد الرحمن(1985م)، اللامات. تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط2.
- الزمخشري، محمود(1993م)، المفصل في صنعة الإعراب. تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى.
- السامرائي، فاضل (2000م)، معاني النحو. دار الفكر، عمّان، ط1.
- السخاوي، علي (1995م)، سفر السعادة وسفير الإفادة. تحقيق: محمد الدالي، تقديم: شاكر الفحام، دار صادر، بيروت، ط2.
- ابن السراج، محمد (1996). الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط3.
- السلمي، ياسر (2021م)، التوجيه اللغوي لما وصف بالمرغوب عنه والشاذ في معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه لقطرب. مجلة الجامعة العراقية، مج(1)، ع(53)، ص: 321 – 337.
- سيبويه، عمرو(1988م)، الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- ابن سيده، علي(2000م)، المحكم والمحيط الأعظم. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- ابن سيده، علي (1993م)، العدد في اللغة، تحقيق: عبد الله بن الحسين الناصر، وعدنان بن محمد الظاهر، بيروت، الطبعة الأولى.

- السيرافي، الحسن(2008م)، شرح كتاب سيبويه. تحقيق: أحمد حسن مهدللي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- الشاطبي، إبراهيم(2007م)، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق: مجموعة من المحققين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1.
- شاهنشاه، مجد الدين(2000م)، الكناش في فني النحو والصرف. تحقيق: محمد حسن الخوام، المكتبة العصرية، بيروت.
- ابن الصائغ، محمد(2004م)، اللمحة في شرح الملحة، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1.
- الصقلي، ابن القطاع (1999م)، أبنية الأسماء والأفعال والمصادر. تحقيق: أحمد محمد عبد الدايم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1.
- الصغاني، الحسن (1982م)، نقعة الصديان فيما جاء على الفعلان. تحقيق: علي البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط1.
- ابن عصفور، علي(1996م)، الممتع الكبير في التصريف. مكتبة لبنان، بيروت، ط1.
- العكبري، عبد الله (1995م)، اللباب في علل البناء والإعراب. تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط1.
- العكبري، عبد الله (1986م)، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين. تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1.
- الفارسي، الحسن (1987م)، المسائل الحلبيات. تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ودار المنارة، بيروت، ط1.
- الفراهيدي، الخليل (1995م)، الجمل في النحو(المنسوب للخليل). تحقيق: فخر الدين قباوة، ط5.

- القرالة، زيد (2012م)، رأي قطرب في الحركات ودلالاتها الإعرابية في آراء العلماء. مجلة كلية الآداب، جامعة منتوري قسنطينية، ع(13)، صص337 – 373.
- القرني، ماجد(2019م)، اللهجات في معاني القرآن لقطرب: دراسة في المستوى النحوي. مجلة العلوم العربية والإنسانية، مج(13)، ع(2)، صص (447 – 512).
- قطرب، محمد(2021م)، معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، برواية: أبو الحسن أحمد بن سعيد الدمشقي. دراسة وتحقيق: محمد لقريز، مكتبة الرشد، الرياض، ط1.
- المبرد، محمد(1994)، المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار عالم الكتب، القاهرة، ط1.
- المعرّيّ، أحمد (1992م)، رسالة الملائكة. تحقيق: محمد سليم الجندي، دار صادر، بيروت، ط1.
- ابن منظور، محمد (1994)، لسان العرب. دار صادر، بيروت، ط3.
- ناظر الجيش، محمد (2008) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد. دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، ط1.
- ابن الناظم، بدر الدين (2000م)، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- النجار، محمد(2001م)، ضياء السالك إلى أوضح المسالك. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.
- النحاس، أبو جعفر(2004م)، عمدة الكتاب. تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم الجفان والجابي للطباعة والنشر،ط1.
- النحاس، أبو جعفر (1409هـ)، معاني القرآن. تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1.

- الهديان، سلطان (2022م)، القراءات المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم عند قطرب ت: 206هـ، في كتابه معاني القرآن وتفسيره من خلال سورتي الفاتحة والبقرة جمعاً ودراسة. مجلة العلوم الشرعية، ع(67)، صص(13 – 84).
- ابن هشام، عبد الله(1985م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط1.
- ابن يعيش، أبو البقاء(2001م)، شرح المفصل. قدم له: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.